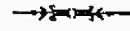




دراسات في الفن

الفن في حياتنا الاجتماعية

للأستاذ عزيز أحمد فهمي



شامت وزارة الشؤون الاجتماعية أن تتعرض للفن فأنشأت في نفسها إدارة للدعاية خصتها بأمور ستة : الأول نشر المبادئ الاجتماعية القويمة، والثاني الإشراف على برامج الإذاعة وترقيتها، والثالث تدعيم المسرح القومي والعمل على جعله وسيلة فعالة لتثقيف الشعب وإصلاحه، والرابع مراقبة الروايات والأفلام السينمائية والأغاني الشعبية، والخامس الإشراف على تنظيم للمهرجانات والأعياد القومية والموائد بما يحقق استفادة الجماهير منها من الوجهتين الاجتماعية والاقتصادية، والسادس تنفيذ القوانين واللوائح الخاصة بحال دور التسلية... وهذه الأمور الستة شديدة الصلة بالفن، وهذا ما يدعوني إلى إنعام النظر فيها محاولاً أن أجد الطريق العملي إلى تحقيقها

والسألة فيما يخيل إلى دائرة... ذلك أننا نعرف أن الفن هو ثمرة الحياة الاجتماعية، فكما تكون الأمة يكون فنها، وأمتنا كما هو ملحوظ في حاجة إلى إصلاح اجتماعي، فإذا حاولنا أن نصالحها بفننا لم نفعل شيئاً، لأن فننا منها وما هو منها لا يمكن أن يصلحها. إنما هناك رجال سبقوا عصرهم وهؤلاء رحدمهم الذين يستطيعون أن يؤثروا في مواطنهم لو أن فرصة العمل أتيت لهم، وفرصة العمل لا تتاح لهؤلاء عادة في سهولة لأن مواطنهم متأخرون عنهم فهم لا يتدقونهم كما يتدقون غيرهم من الفنانين والمفكرين الثارتين في هذا العصر الضال، فأول ما يجب علينا إذن هو البحث عن هؤلاء الرجال، وإلقاء مقاليد الإصلاح بين أيديهم...

ونحن إذا استرجعنا هذه الأهداف الستة التي تريد وزارة الشؤون الاجتماعية أن تصل إليها وفكرنا فيمن يصلح لقيادة الشعب لها... رأينا الهدف الأول هو نشر المبادئ الاجتماعية القويمة، ولعل هذا يتم بإنشاء مجلس أعلى للشؤون الاجتماعية يضم كل من عرفت مصر أنهم يهتمون بشؤونها الاجتماعية اهتماماً حقيقياً لا اهتماماً زائفاً، ويكون على رأس هؤلاء جميعاً صاحب السعادة عبد العزيز فهمي باشا... فهو الزعيم المصري الذي آمن بحق الوطن حينما لم يكن يؤمن به إلا نفر قليل جداً من أبناء الوطن، وهو الذي سبق كل الزعماء في تقدير القسط الصالح من سيادة الشعب وقتما كان كل الزعماء يريدون للشعب سلطة فضفاضة وهو لم يزل طفلاً ناشئاً... وهو الرجل الذي لو أراد أن يمشى متنقلاً بين الكوتننتال ومينا هاوس وسان استافانو لفعّل، ولكنه على الرغم من جهل الجماهير لفضله يفضل دائماً أن يقترب من الجماهير، ويختار جمهوره الأقرب إليه فهو يلزم «كفر المصلحة» قريته التي نبت فيها والتي وهبها كل الفراغ من وقته، والتي ظل فيها يكافح الجهل حتى عاينها الأمية عرواً، ويكافح الفقر حتى لم يعد من أبنائها متعطّل ولا متسكع، ويكافح المرض حتى أصبح أكثر أهلها من هواة الألعاب الرياضية وهم يقيمون فيها المسابقات... هذا الرجل وغيره من رؤوس الريف العاملين المجريين هم الذين يمرقون ما هي السبيل إلى نشر المبادئ الاجتماعية القويمة، وليشارك معه الكتاب والمفكرون والمجاهدون الذين لهم ماض بين الفقر والجهل والمرض... أولئك الذين خالطوا الناس وعرفوا أوجاعهم، والذين أهينوا وعذبوا وسجنوا وجاعوا وتألوا... أبناء الشعب، ونبت الطين المصري... من يهمهم إصلاح الحياة في مصر لتصلح حياتهم هم أنفسهم، ولترتاح ضمائرهم... أما الإذاعة فنقسم إلى قسمين : أولها قسم الأغاني والموسيقى، وثانيها قسم المحادثات والمحاضرات والتمثيل. وقسم

إلى هاوية ليس لنا قبل بالتردى فيها ... هذا إلى ما يكون في روايات السينما أحياناً من مظاهر التعصب الغربي ضد الشرق عامة، وضد العرب خاصة ... والروايات التي تنحو هذا النحو يقبلها الغرب لأنها ترضى كبرياءه ولأنها تم عن ألوان من الكفاح اصطفاها الغرب ضد الشرق واقتصرت فيها ... ولكن هذه الروايات نفسها لا يصح أن تمرض في بلد شرقي لأن عرضها فيه إهانة له ولأنها ترقى الصغار على كراهية الشرق وعبادة الغرب بينما هم شرقيون لا بد لنا من عالم نفساني اجتماعي يشاهد هذه الأفلام قبل عرضها ليحكم عليها وليقرر أنها تقر بنا من المثل العليا التي نحب أن نحققها فيبيع عرضها أو أنها تحيد بنا إلى مثل سفلى لا يصح أن نتدل إليها فيمنع عرضها، ولا بد إلى جانب هذا من رجل غيور على التقاليد والنظم الشرقية غير صحيحة، ولا بد إلى جانب هذا وذاك من صرب يعرف مدى ما تؤثر هذه الروايات في نفوس الصغار، وفي صغار النفوس

وتجىء أخيراً المهرجانات والأعياد والموائد، وهذه هي معضلة المضلات ... فكلم من أمة حكمت مصر، وكلم من حضارة ألت بها، وكلم من دين غزاها، وكلم أريد بها أن تكون على هوى من أراد فلم تكن إلا ما أرادت بها طبيعتها فنفضت عن نفسها كل ما حاول الجباة أن يصبغوها به من ألوان الحياة، ولم تستبق من هذه الأصباغ إلا صبغتين اثنتين هما صبغة الفراعنة وصبغة الفاطميين . أما الفراعنة فلا يزال في مصر من مخطايتهم هذه الآثار القائمة من الصخر والحجر، وهذه اللذة التي يتكلم بها بعض أهل الذوبة، وهذا التقويم الذي يؤقت به المصريون الزراعة، وهذه المواطن التي لا تزال تختلج في نفوس المصريين اليوم بالنطق نفسه الذي كانت تختلج به في نفوس المصريين من أقدم المصور والتي نحب بها ما كان يحبه أجدادنا ونكره بها ما كانوا يكرهون، فنحن لا تزال نحب النيل ونحتفل بقيضانه كما كانوا يفعلون، ونحن لا تزال نحب الجاموس الذي يساعدنا في فلاحه الأرض كما عبدوا العجل أيس، ونحن لا تزال نكره الهجرة من بلادنا مهما قست علينا الحياة فيها كما كانوا يكرهون هم الهجرة من بلادهم مع أننا اليوم مسلمون، ومع أن الإسلام يمقت الذين يتشبثون بأرض يستضعفون فيها . وفيما كذلك من تفكيرهم

الأغاني والموسيقى لا يمكن أن يرق إلا إذا أشرف عليه رجل موسيقى، وهو اليوم ملقى بين يدي مصطفى بك رضا الموظف بوزارة الأوقاف، وهو رجل من أبناء الذوات تعلم العزف على القانون كما يتعلم أبناء الذوات وبنات الذوات العزف على البيانو، فهو عديم وعندهم زينة وأبهة ... هذا الرجل يجب أن يسعد عن محطة الإذاعة وعن المعهد الملكي للموسيقى العربية ليحل محله واحد من كاشفوا الحياة في سبيل الفن، ومن بذلوا للفن حياتهم؛ وأنا، ومن يعرفون لا يشكون في أن مثل زكريا أحمد هو أول هؤلاء فقد كان مقلداً للقرآن كما كان من منشدي القصائد ومراثي مولد النبي، ثم إنه من ملحن التخت له أدوار وطقاطيق وموشحات لا يحصى عددها وهو بعد ذلك من ملحن المسرح والسينما أيضاً ... وليس في مصر من جمع هذه المميزات على نجاح مشهود وتوفيق ظاهر غير زكريا، فكيف يبعد رجل كهذا عن الإشراف على ترقية الأغاني والموسيقى في مصر؟

ويجىء بعد ذلك قسم الأحاديث والخطابة والروايات، ولا بد أن يكون الشرف على هذا القسم ممن سبق لهم أن يتحدثوا إلى الشعب وأن عرفوا ما هي الأحاديث التي تؤثر فيه وتخلبه، وكيف يمكن أن يقاد وكيف يمكن أن يهدى

أما تدعيم المسرح فلا يمكن أن يكون إلا بتحريره، وتحريره لا يمكن أن يكون إلا بتشجيعه، وتشجيعه لا يمكن أن يكون إلا بالمال يوزع على الفرق الأهلية، فيكون للرمحاني نصيب، ويكون ليوסף وهي نصيب، ولقاطمة رشدي نصيب ... وقد تستجد فرق أخرى تنافس هذه، ولا رب أن الروح ستدب من جديد إلى المسرح المصري الذي قتل حين أظله « الميرى » يظله ... إن الفرقة القومية تشبه جريدة الوقائع الرسمية والمجمع الملكي للغة العربية ... فكلم من الناس يكثرثون لهذه الجريدة وهذا المجمع؟ وما مدى تأثير كل منهما في الحياة المصرية؟ وبم يشعر الناس لو أنهما ألتيا؟ هل يحس أحد بأن الحياة المصرية قد نقصت شيئاً؟ وأما مراقبة الأفلام والروايات السينمائية فلا بد لها من خطة خاصة أيضاً ... لا بد أن يبعد بالإشراف عليها إلى هيئة لا إلى فرد فهي تؤثر في الجمهور من عدة نواح مختلفة، وهي شديدة الخطر على النساء، فإذا لم تكن خاضعة لرقابة سالحة يقوم بها نفر من يثارون على وطنهم وأهلهم فإتيا من غير شك ستجرف مصر

أنشأوا دولتهم على أساس من الدعاية والفن ، وقد راعوا في فنونهم أن توافق الروح المصرية ، وقد عرفوا أن مصر أرض زراعية ، وأن هذه الأرض الزراعية تستدل أهلها بخيراتها ، وأنه إذا توفر الخير لأهلها طابت لهم الحياة فيها فلم يمدوا يديهم في شيء إلا اللب ، فشغلهم بأنواع من اللب ، كما شغلهم بأنواع من الاسترقاق خيلوا إليهم أنها أصل خيرهم ، شغلهم على عبادة النيل ، وعبادة الحكام ، وعبادة العجول ، وأولياء الله الصالحين واختلقوا لهم ألواناً من البطولة هي ألوان الأكل والشرب ... ولم يكن الفراعنة مجانين ولا كان الفرعون منهم يصدق أنه إله لأنه كان يعرف أنه ضعيف ، ولم يكن الخليفة الفاطمي سخيلاً ولم يكن يصدق أن السيد البدوي يأكل بقرة وكبشاً ومائة دجاجة وألف عصفور ... وإنما كانت هذه هي السياسة التي قدم عليها حكم الفراعنة وحكم الفاطميين ... ونحن اليوم نجتاز ظرفاً جديداً من ظروف الحياة ثبت فيه أن الزراعة لم تعد تصلح أن تكون أساساً للحياة راقية في أمة ناهضة ، وثبت فيه أن العلم والحربة أساسان للرق والنهوض ، لذلك يجب أن تبدل هذه الأسس التي خلفها الفراعنة والتي تبنها الفاطميون ، وليس يستطيع هذا إلا قانون مبتدعون يخلقون للمصريين المثل العليا للبطولة الجديدة ، يستقونها من الإسلام الصحيح ، ومن تاريخ النبي وعمر وصلاح الدين وأولئك الأبطال المسلمين ... وليس يتأتى هذا إلا لفنانين عاشوا في الريف وعاشوا في المدن ، وخالطوا البيئة الزراعية والبيئة الصناعية ، وتمكنوا من الحياة المصرية الناعمة ومحرقوا مشوقاً للحياة مصرية جديدة صاخبة حية ... تهض على أساس مصري إسلامي لا على أساس مترجم أو مسروق ... لا بد أن تعطل موالد الأكالين والدجالين وأن تحيا موالد الأبطال الحقيقيين . . لا بد من رجعة إلى النور ... بلسان المصريين ... وأقدر الفنانين على هذا هم : يرم التونسي وعبد السلام شهاب وبديع خيرى .. على أن يماونهم مؤرخون أما تنفيذ اللوائح فمن شأن رجال القانون .

عزيز أحمد فهمي

هذه القدرة المعجبة على الاستمالة بالخيال عن الحقيقة والأمر الواقع ، ولعلنا الشعب الوحيد الذي يرضى اليوم أن تلاقيه ولا تغديه ، كما أن فينا من أخلاقهم « فرعنة » تجري في عروقنا مع الدم ، فالواحد منا إما فرعون يتفرعن على من هو دونه ، وإما عبد لكل فرعون ممن هم فوقه رؤساء وحكاماً . وأما الفاطميون فلا تزال مصر تحتفظ بكل ما أقاموه فيها من دعائم حكمهم ، فهذه الأضرحة التي عملاً للقاهرة وغيرها من مدن مصر وقرائها ، وهذه الموالد التي لا يزال المصريون يحجرون وراءها من القاهرة إلى دسوق إلى طنطا إلى دمنهور ، وهذه الحفارات المعجبة المتأصلة في أذهان الناس والتي تخالط عقائدهم من دينية ودينية والتي يستقونها من القصص الفاطمية المتفشى بينهم ، ومن الكتب المدسوسة عليهم باسم الإسلام والإسلام منها برى . وهذا التشاغل عن الحياة ، وهذه القناعة بخيرات الأرض إذا جادت الأرض بالخيرات ... هذا وذاك باقيان في الحياة المصرية إلى اليوم من أثر الفراعنة ومن أثر الفاطميين ، حتى الدين تأثر بالفراعنة والفاطميين ، فالإسلام الذي في نفوس العامة من المصريين إسلام فاطمي ، والمسيحية التي في نفوس العامة منهم مسيحية فرعونية .. فالسليمان من المصريين يفكرون في أهل البيت أكثر مما يفكرون في الله ، ويستجدون بالحسين والسيدة زينب أكثر مما يستجدون بالله الواحد الأحد خالق الحسين والسيدة زينب وجدها عليه الصلاة والسلام ، وهم يقرؤون قصص السيد البدوي ومناقبه وأحاديث أكلاؤه ومواقفه أكثر مما يقرؤون القرآن وتاريخ النبي . والمسيحيون المصريون فرعنوا مسيحيتهم هم أيضاً فهم يسمون أنفسهم بأسماء فرعونية مع أن الفرعونية وثنية في رأى المسيحية ، ثم إنهم لا يزالون يتفننون في الحزن على موتاهم تغنناً عجيباً لم يكن يحسنه في الشعوب النابرة أحد إلا قدماء المصريين ، ويحسونه هم اليوم ، مع أن للمسيحية إيمان مطلق بإرادة الله ورضا مطلق بمشيئته ... فلماذا انطبعت الحياة المصرية

بهذين الطامعين وحدهما ... ؟ ولماذا استطاع هذان الطامعان أن يقابلا الزمن في مصر وأن يبقيا فيها داراً من العصور دون غيرها مما كان يصح أن يؤثر في الحياة المصرية وأن يطبعها بطابعه . لا بد أن في الأمر سرّاً . والسر هو أن الفراعنة والفاطميين

معرض التناولات
معرض التناولات تأسس الدكتور ماجستير في شغل فرع القاهرة
بمبادرة من فريق من ٤٦ شاعراً ، المراجعين ٥٢٥٧٨ يعالج جميع التناولات
والأدب والصحة والشعر والتناولات والفقر والرجال والنساء والفقر والشباب
والشعر والفكر . ويعالج أيضاً : زيارته المسماة طيفاً لأصوات الطريق العلمية
والعبادة من ١٠-١٠٠ سنة ٦٠٠٠ . يمكن إعطاء نصائح بالرسالة للمصنفين في هذا المجال
بندنية بمسرحي بمسرحي التناولات السكروية المنزلة على ١٩٩١ ستراد والتي يمكن المصنفين عليها نظرية في